

المحاضرة الثانية

خصائص التفكير الفلسفي:

جاء وصف أفلاطون لأستاذه سقراط بأنه فيلسوف، لما يمتاز به من قدرة على النقد ومنهج الحوار والمناقشة الجيدة والنفوذ الى المفاهيم الموضوعية، واليقين بطبيعة حقيقة الواقع، وعلى ضوء ذلك يمكن أن نلخص أهم خصائص التفكير الفلسفي فيما يلي:

1_ الحيرة أو الدهشة (التعجب):

الحيرة أو الدهشة حالة عقلية نفسية تصيب الإنسان، وتدعوه إلى التوقف عن إصدار الأحكام إتجاه حيرة يمر بها للمرة الأولى، ومن ثم فهي تعبر عن جهله المؤقت فيندفع متأملاً وباحثاً عن طبيعة هذه الحيرة، والتفكير الفلسفي يتميز بأنه ينبثق من الحيرة والدهشة التي تدفعه إلى الإنشغال بالبحث عن الأسباب البعيدة للظواهر الكونية والحياة والمعرفة والوجود، ولهذا عدت هذه الخاصية هي أولى أسس التفكير الفلسفي وأصوله على حد تعبير أفلاطون وأرسطو.⁽¹⁾

2_ الشمولية:

تعني الشمولية **totalitarism** أن التفكير الفلسفي يمتاز ب: الكلية والعمومية معاً مقارنة بالفكر العلمي الذي يمتاز بالتخصص، ويكتفي بالبحث في المواضيع الجزئية للظواهر والقضايا. فالفلسفة هي محاولة لإدراك العالم في صورته الكلية وهو ما يتطابق وتعريف أرسطو لها حيث يقول: " هي البحث في الوجود بما هو موجود"، ومعنى هذا أن الفلسفة لا تنقيد بقسم واحد من الوجود كما تفعل العلوم وإنما تدرس جميع الموجودات بغض النظر عن تعييناتها (حية، جامدة، أرواح، غيب) وعليه فإن الفلسفة تطمح من وراء ذلك إلى محاولة فهم المبدأ الذي بدأ منه الوجود وكذا الغاية التي سينتهي إليها.

3_ المنهج:

إن التفكير الفلسفي يمتاز بالمنهجية والبعد عن العفوية، حيث يتميز المنهج الفلسفي بمراحل وخطوات محددة يضعها الفيلسوف نفسه، والمناهج الفلسفية تختلف باختلاف الفلاسفة أو المذاهب الفلسفية وكانثر على ذلك نذكر: المنهج الشكي عند ديكارت، المنهج الظاهري عنده هوسرل، المنهج التحليلي عند راسل... الخ. إلا أنها تشترك في صفة واحدة ألا وهي أن كل تلك المناهج ذات طابع تأملي عقلي ونقدي.

4_ الشك:

يعد الشك صفة وخاصة فلسفية بامتياز وهو ما يؤكد التاريخ الطويل للفلسفة (ما يناهز 25 قرناً)، حيث أن المواقف التي يخلص إليها أي فيلسوف هي بالتأكيد نتيجة للشك في مواقف معاكسة، ما يعني أن التفكير الفلسفي ينبذ فكرة التسليم العشوائي بالأفكار دون الإرتياب فيها. والشك الفلسفي لا بد أن يكون شكاً منهجياً غايته الوصول إلى الحقيقة والمعرفة اليقينية القائمة على الحجة والبرهان.

¹ لقد رأى أفلاطون قديماً أن الدهشة أصل الفلسفة وينبوع التفلسف حيث قال: "ينقل إلينا البصر منظر الكواكب والشمس وقبة السماء وهو منظر يدهشنا ويدعونا إلى تأمل الكون، ومن هذا الإندهاش نشأت الفلسفة، وهي أعظم خير، وهبة الآلهة للإنسان الفاني"، ويقول في نص آخر: "إن الآلهة لا يتفلسفون لأنهم حاصلون على العلم، أما الإنسان فوحده يتفلسف، فتبدأ الفلسفة عنده بالدهشة".

3_ موضوع الفلسفة:

يتخذ الفلاسفة من المشكلات التي تمس مختلف نواحي الحياة موضوعا لنشاطهم الفكري، فقديما إهتم هؤلاء بمحاولة فهم طبيعة الكون والأشياء. فمثلا تصور اليوناني **طاليس (thales 621_550)** أن أصل الكون هو الماء ما دامت الحياة تتوقف على هذا العنصر الحيوي، في حين اعتقد فيلسوف آخر وهو **أمبدوقليدس Ambdoklise (435_490 ق.م)** أن كل الأشياء ترجع إلى العناصر الطبيعية الأربعة وهي: الماء، الهواء، النار، التراب، وأن محرك هذه العناصر قوتان هما: الحب والكره.

وإلى جانب الإهتمام بطبيعة الأشياء والكون، إهتم كذلك الفلاسفة بمحاولة فهم طبيعة الإنسان، وقد كان **سقراط** من السباقين لذلك من خلال مقولته الشهيرة: "**أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك**"، مؤكدا أن الحقيقة ليست مجرد أمر فردي مثل ما تصور **السفسطيون les sophistes** الذين اعتبروا أن "**الإنسان مقياس الأشياء كلها**"، إذ آمن سقراط بالعقل كعنصر مشترك بين جميع الناس، وكمقياس للحقيقة لا تتغير أحكامه ونتائج بتغير الظروف. ولو أردنا أن نحصر المواضيع الفلسفية لوجدنا أن الفلاسفة يبحثون في أربعة مشكلات (قضايا) هي:

1. **مشكلات المعرفة:** وتشمل الإبيستمولوجيا، ونظريه المعرفة، والمنطق، وفلسفة العلوم، وفلسفة اللغة.

2. **مشكلات الوجود:** أو الواقع وتشمل الميتافيزيقا، الوجود، وعلم الكونيات (الكوسمولوجيا).

3. **مشكلات القيم:** وتشمل مبحث القيم، وفلسفة الجمال، وفلسفة الأخلاق وفلسفة الدين.

4. **مشكلات المجتمع:** وتشمل الفلسفة الاجتماعية، والإقتصادية، والفلسفة السياسية.

هذه المشكلات كلها متشابكة، متداخلة ومتراصة فيما بينها، ووظيفة الفلسفة أن تجعل من هذا التنوع تناسقا في صورة فهم كلي للعالم، ولذلك تسمى الفلسفة عند القدماء بالعلم الكلي أو علم العلوم، من هنا سنحاول أن نبين لاحقا أهم ملامح هذه المشكلات بما لها من أهميه كبرى في إعطاء فهم أكثر بطبيعة التفكير الفلسفي.